



رسوم: شارلوث شاما قصة: تغريد النجار

كُلَّمَا ذَهَبَتْ هند لِزِيَارَةِ عَمَّتِهَا سَهِيلَةَ؛ وَجَدَتْ فِي يَدِهَا قِطْعَةَ قِمَاشٍ تُطَرَّزُهَا بِخُيوطٍ مُلَوَّنَةٍ.

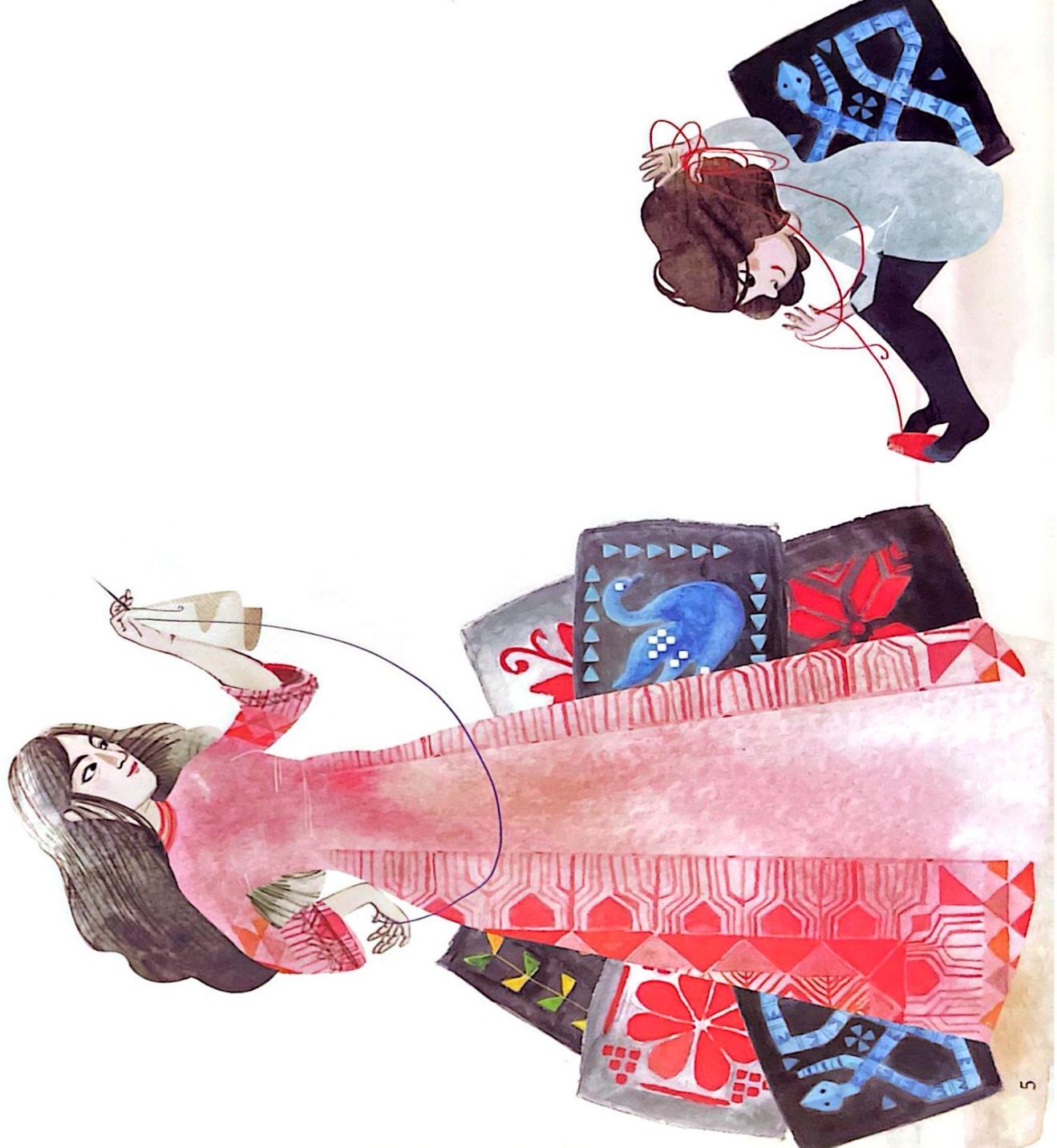
فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، قَالَتْ هند لِعَمَّتِهَا: أَلَا تَضْسِجَرِينَ مِنَ التَّطْرِيزِ يَا عَمَّتِي؟
ضَحِكَتِ الْعَمَّةُ وَقَالَتْ: أَبَدًا يَا هند؛ فَالْتَّطْرِيزُ لَيْسَ خُبوطًا مُلَوَّنَةً وَأَشْكالًا جَمِيلَةً
فَقَطْ، بَلْ إِنَّهُ يَحْكِي قِصَصًا أَيْضًا.
لَمَعْتْ عَيْنَا هند وَقَالَتْ: احْكِي لِي عَنِ الْقِصَصِ الَّتِي تُطَرَّزُنَّهَا.

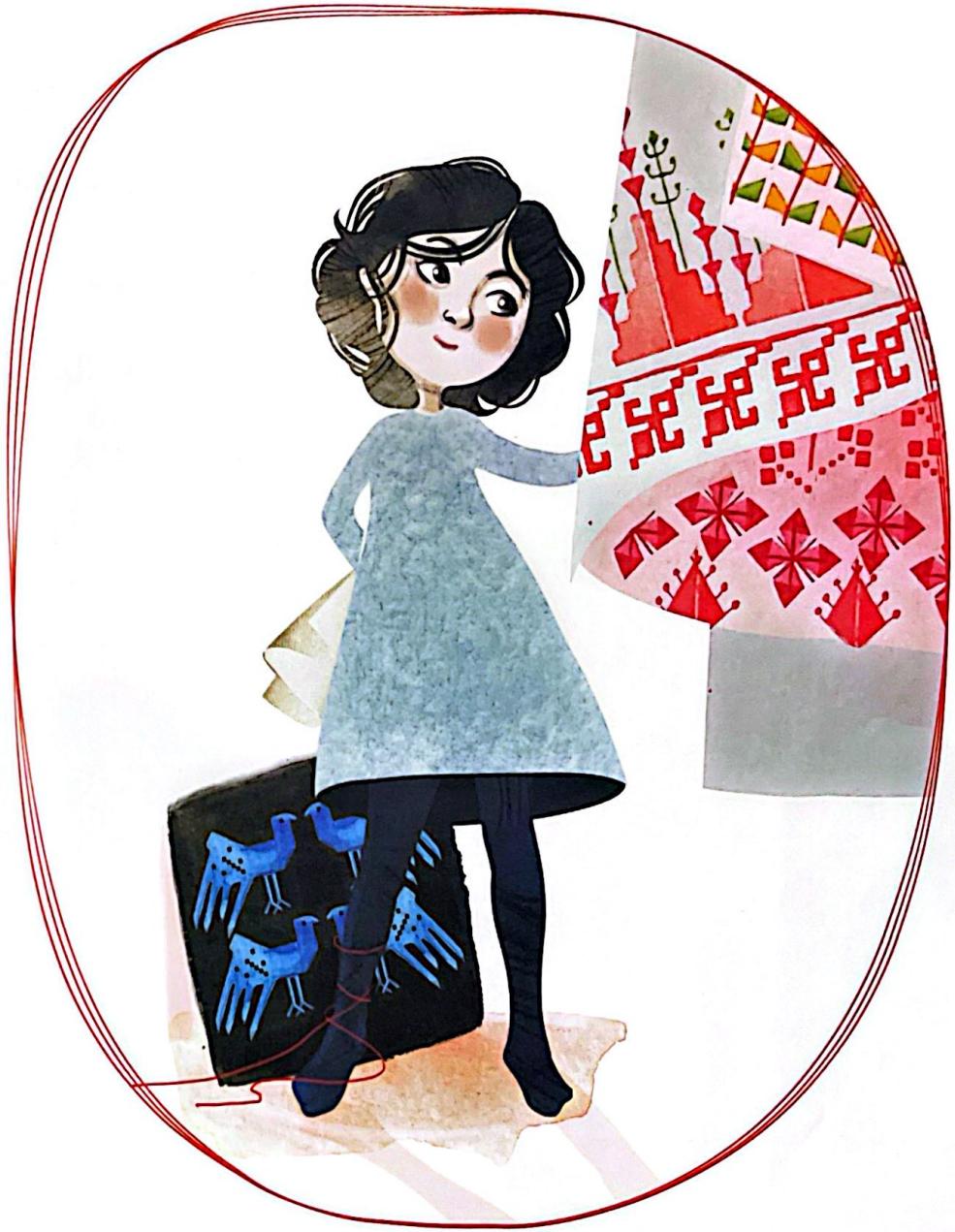




فَالَّتِي الْعَمَّةُ سَهْلَةُ: سَأَحْكِي لَكِ، وَلَكِنْ تَعَالَى مَعِي إِلَى الْمَطْبَخِ أَوَّلًا كَيْ نُخَضِّرْ
شَايَا بِالنَّعْنَاعِ لِنَسْرَبَةٍ مَعْ كَفْكَةِ التُّفَاحِ الَّتِي تُحِبِّينَهَا. حَضَنْتُ هند عَمَّتَهَا وَهِيَ
تَقُولُ: يَا يَا! كَمْ أُحِبُّ كَفْكَةَ التُّفَاحِ الَّتِي تَصْنَعِينَهَا يَا عَمَّتِي!

سَأَلَتْ هند عَمَّهَا: هَلِ التَّطْبِيرُ صَعُبٌ يَا عَمَّيْ؟
إِنْسَنَتِ الْعَمَّةُ وَقَالَتْ بِحَمَاسٍ: لَا أَبْدَا يَا عَزِيزِي، سَأَعْلَمُكِ إِنْ أَرَدْتِ. عِنْدِي
قِطْعَةُ قِمَاشٍ صَغِيرَةٍ، سَأَذْرِيكِ عَلَيْهَا. فَرَحَتْ هند وَقَالَتْ: فِكْرَةُ رائِعَةٍ لَفَدَّ
أَفْرَبَ عِيدُ مِيلَادِ مَامَا. سَأَظْرِزُهَا مَفْرَشًا صَغِيرًا لِفِجْنَانِ قَهْوَهِهَا.





قالت العَمَّةُ سهيلة: انظُري يا هند إلى هذه الأشكال الهندسيَّةِ وَتَمَعَنِي فيها.
كثير منها يرمز إلى أشياءٍ من حولنا.

نظرت هند إلى قطعة القماش بدھشی وقالت: هذا صحيح. هذا يشبه شكل طير، وهذه شكلها كسبيل القمح، وهذا قمرٌ مُشعّ، وهذا سلم، وهذه أزهار...

عَلِمَتِ الْعَمَّةُ سَهِيلَةُ هَنْدُ كَيْفَ تُمْسِكُ الإِبْرَةَ وَالْكُشْتِبَانَ،
وَكَيْفَ تَسْحَبُ الْخَيْطَ بِلُطْفٍ. ثُمَّ أَعْطَتْهَا سَلَّةً مِنَ الْقَشْ
فِيهَا بَكَارَاتٌ مِنَ الْخِيُوطِ الْمُلَوَّنَةِ وَإِبْرَةَ وَكُشْتِبَانٍ وَمِقْصُّ،
وَقَالَتْ لَهَا: هَذِهِ السَّلَّةُ هَدِيَّةٌ لَكِ. حَافِظِي عَلَيْهَا! مَا زَلْتُ
أَخْتَفِظُ بِإِبْرَتِي الْأُولَى الَّتِي أَعْطَتْنِي إِلَيْهَا وَالَّتِي.
إِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ لِي كَالْإِبْرَةِ السُّخْرِيَّةِ.





عندما عادت هند إلى البيت، أمسكت الإبرة وتفحصتها.
يا ترى هل هي إبرة سحرية مثل إبرة عمنتها سهيلة؟
وسرحت في خيالها، دون أن تتبه شكت الإبرة أضبعها
ونزلت نقطلة دم حمراء.

فَجَاءَ، سَعَرَتْ هندٌ بِالْغُرْفَةِ تَدُورُ وَتَدُورُ بِهَا،
وَذَوَامَةُ حَمْرَاءٌ تَلْفُّهَا وَتَحْمِلُهَا. صَرَخَتْ بِأَغْلِي
صَوْنِهَا وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعْهَا أَحَدٌ.



فتحت هند عينيها فوجئت نفسها في حفل من شفائق النغمان العفلقة.
مشت وهي تنظر حولها باستغراب وسأله في نفسها: هل نقلضت وأضبخت
صغيرة الحجم؟! أخاه، ظهرت أمامها بكرة خوط حمراء وقالت لها: أهلا بك في
عالم التطريز يا هند. نحن في انتظارك! صاحت هند بفرج: كنيف لبكرة خوط أن
تكلمه؟! فالبت البكرة: لا تخافي يا هند، أفسكي بطراف الخيط
وأ נשمي ورأي حتى لا تضيعي.



وَجَدَتْ هَنْدَ نَفْسَهَا فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ بِيَثِيْهَا بَعِيدٌ وَلَا تَعْرِفُ لَهُ طَرِيقًا: قَرَرَتْ أَنْ تَذَهَّبَ مَعَ بَكْرَةِ الْخُبُوطِ الَّتِي تَغْرِفُ هَذَا الْمَكَانَ الغَيْبِ. أَفْسَكَتْ هَنْدَ بِطَرَافِ الْخَيْطِ وَقَالَتْ بِشَجَاعَةٍ: أَنَا لَسْنَتُ خَائِفَةً! مَسَّتْ بَكْرَةُ الْلَّوْنِ الْأَحْمَرِ أَمَاهَا وَهِيَ تُفْتَنِي بِصَوْتٍ عَالٍ: عَلَى دَلْعُونَا... عَلَى دَلْعُونَا... الْلَّوْنُ الْأَحْمَرُ يَا أَحْلَى لَوْنَا...



وأخيراً وصلت هند إلى حقلٍ من سنابيل القمح الأرضي
التي كانت تسمى مع سماء الهواء. فجأة، خرّجت
من بين السنابيل حيتان تلوّيان حول بعضهما بسرعةٍ
وخفة. يا للعجب! إنهما شبها تماماً حيتين رأتهما
على وسادة في بيت العمّة سهيلة. خافت هند
واختبأت خلف شجرة نخيل عالية.

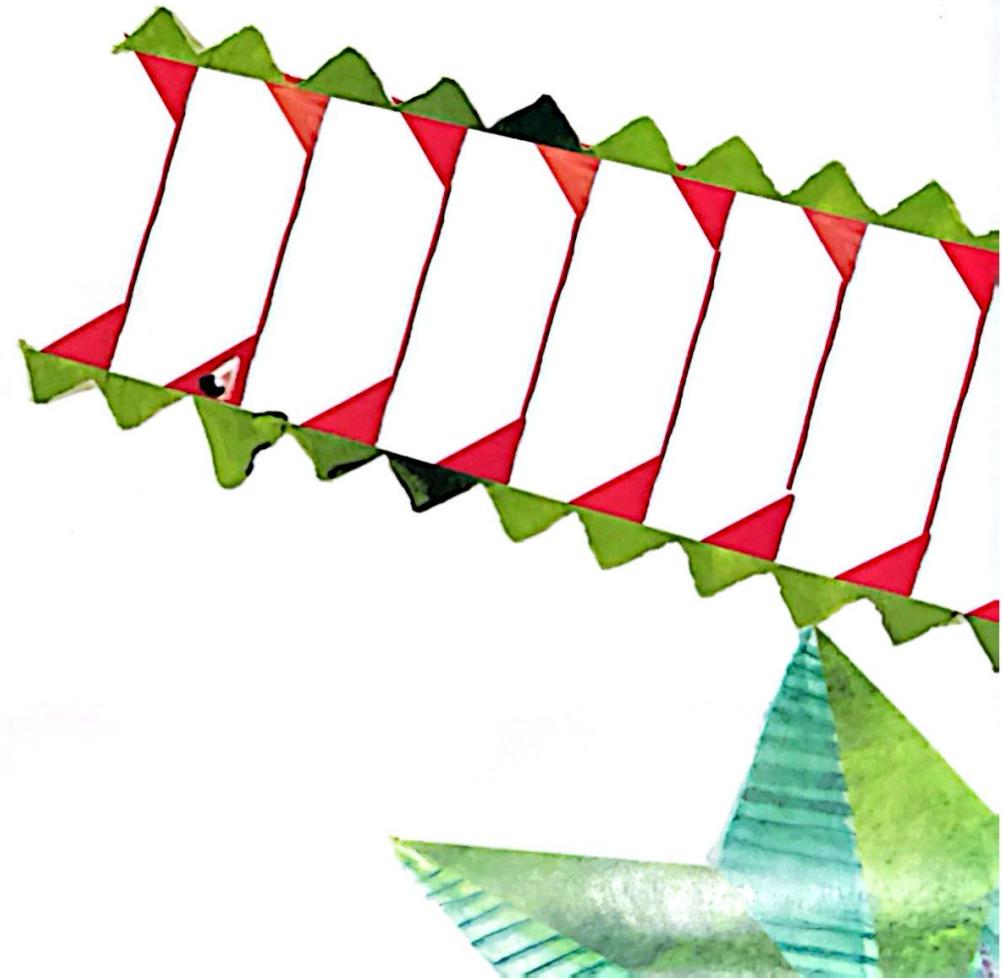




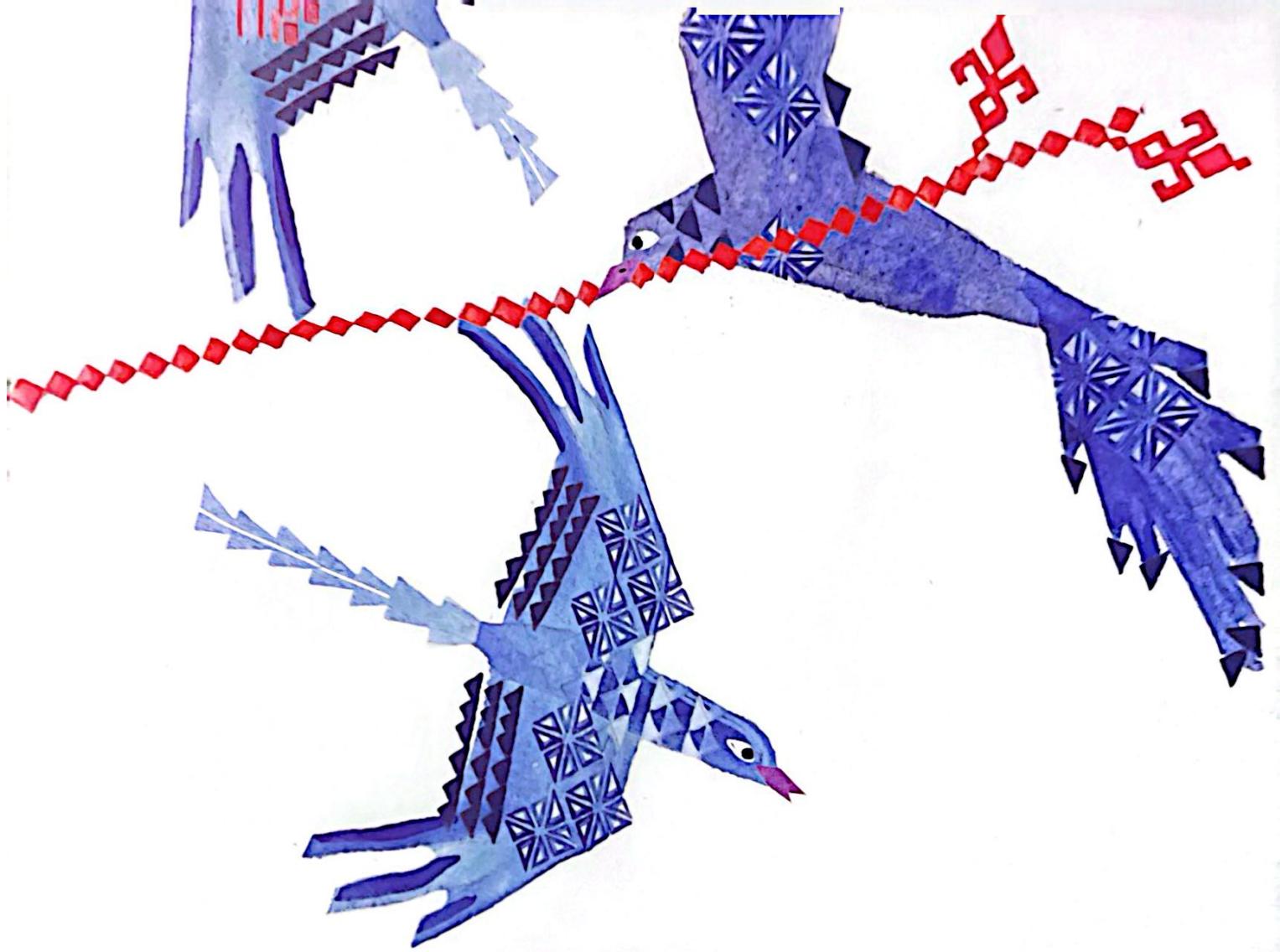
وَمِنْ فَوْقِ شَجَرَةِ أَمَامَهَا، نَزَلَ أَسَدَانِ كَبِيرَانِ.
خَافَتْ هَنْدٌ كَثِيرًا، وَبِسُرْعَةٍ تَسْلَقَتْ شَجَرَةَ النَّخْبِيلِ الْعَالِيَةَ.

قالَتْ بِكَرَةُ الْخِبُوطِ الْخَضْرَاءُ: أَنْزِلْ يَا هَنْدَ، لَا تَخْفِي إِنْهَا مِنْ حَانِ مَعْكِ، نَخْنُ فِي بِلَدِ الشَّطَرِيْزِ لَا تُؤْذِي أَحَدًا. لَوْحَتِ الْحَيَّنَانِ لِهَنْدَ، وَأَخْتَفَتِنَا بَيْنَ سَنَابِلِ الْقَفْحِ.

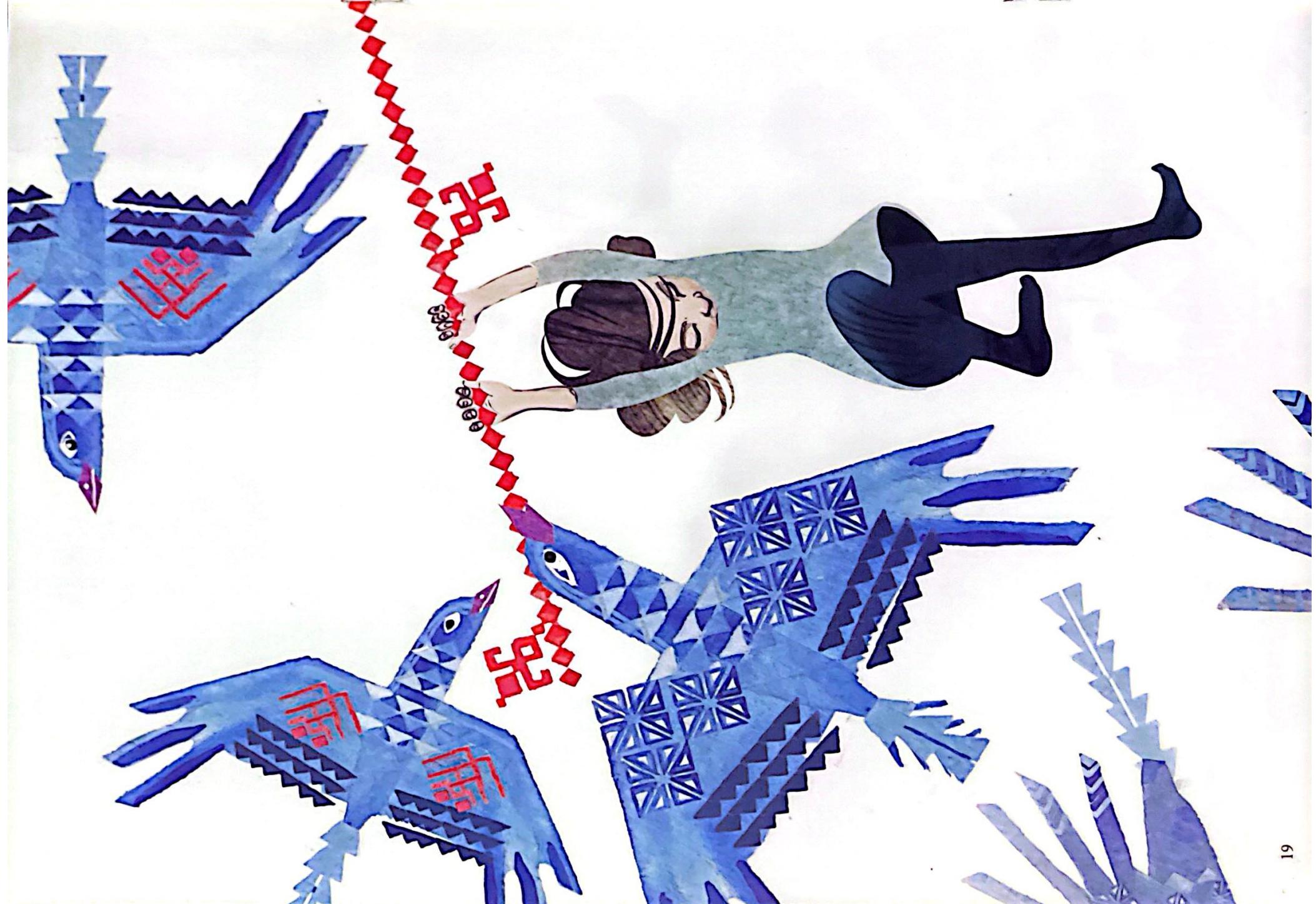
أَمَا الْأَسْدَانِ فَتَنَاهَا بِكَسْلٍ وَعَادَا إِلَى شَجَرَتِهِمَا. نَظَرَتْ هَنْدَ إِلَى الْأَسْفَلِ وَقَالَتْ بِصَوْتٍ مُرْجِفٍ: الشَّجَرَةُ عَالِيَّةُ، وَلَا أَشْطَاعُ أَنْ أَنْزِلَ مِنْهَا. سَمِعَهَا سَلَمَهُ كَانَ مُتَكَبِّلًا عَلَى حَائِطٍ قَرِيبٍ فَقَالَ لَهَا: ابْقِنِي مَكَانِكِ يَا هَنْدَ، أَنَا سَائِرُكِ. حَاوَلَ السَّلَمَهُ أَنْ يُسَاعِدَهَا عَلَى النُّزُولِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالْغُلُوْلِ الْمُنَاسِبِ.





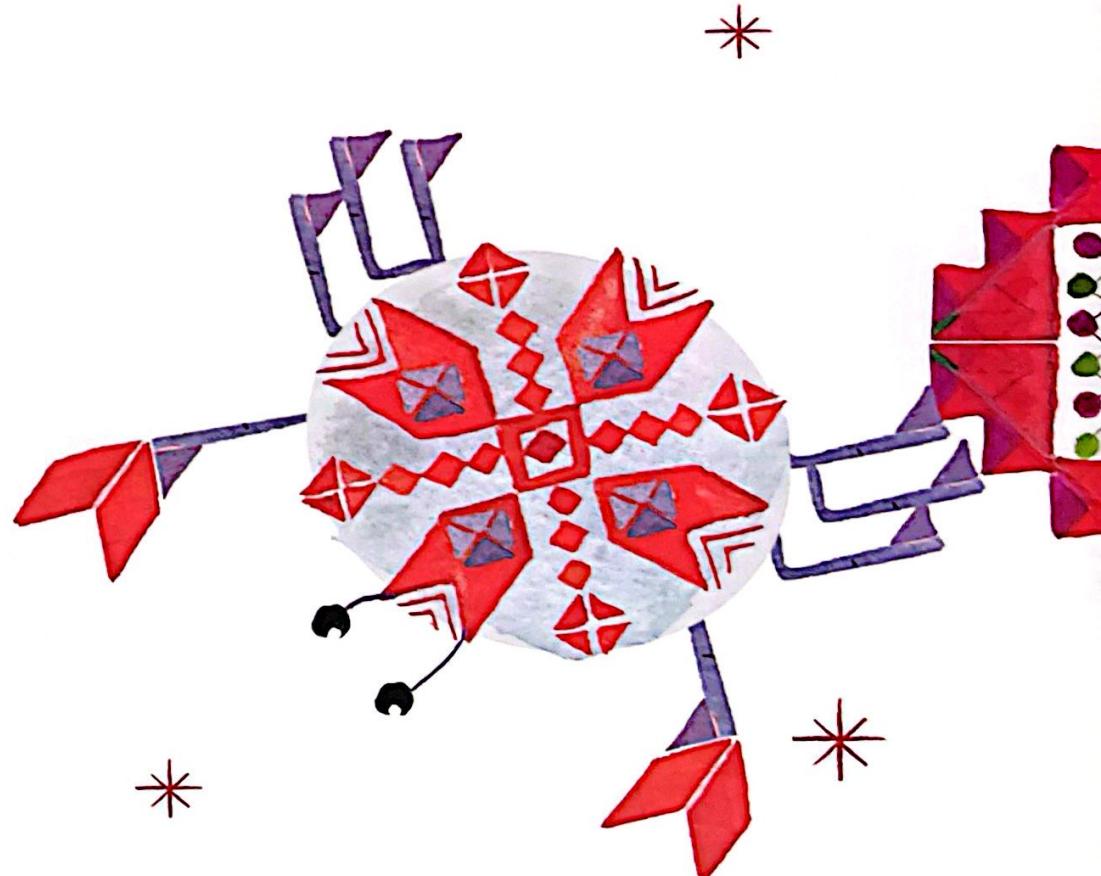


في تلك اللحظة، رأت الحمامات هند عالقة فوق الشجرة العالية فعلا هديلها، وأسرع لمساعدتها. بحثت الحمامات حتى وجدت عصا طويلة حملتها بمناقيرها واقتربت من هند. ترددت هند في بادي الأمر، ثم أخذت نفسا عميقا، وأمسكت بالعصا من وسطها. طارت بها الحمامات وحطت بها على الأرض.





وَنَعْثَتْ هَنْدُ الْخَمَامَاتِ وَهِيَ تَقُولُ: شُكْرًا... شُكْرًا.
مِنْ بَعْدِهِ، رَأَتْ هَنْدُ سَلْطَعُونَا يَفْسُنِي مُسْرِعًا بِجَاهَهَا، وَعِنْدَمَا افْتَرَبَ مِنْهَا قَالَ
لَهَا: أَهْلَدِيلْكِ بِاَهْنَدِهِ، أَنْتِ مَذْعُوَّةٌ إِلَى الْحَفْلَةِ الْمُوسِيقِيَّةِ، سَاكُونُ الْعَازِفِ الرَّئِيسِ
فِيهَا، عَذْرًا، سَأَسْأَرِنُ فِي الْمَشْيِ لِأَنِّي تَأْخُزْتُهُ، هَيْنَا الْحَقِيقِيُّ بِي،
سَلْطَعُونَ يَتَكَلَّمُ وَيَغْزِفُ الْمُوسِيقِيَّ! يَا لَهُ مِنْ عَالَمٍ غَرِيبٍ وَجَدَتْ هَنْدُ نَفْسَهَا
فِيهِ! وَلَكِنَّ الْفُضُولَ تَمَلَّكَهَا فَأَسْأَرَتْهُ وَرَاءَهُ...





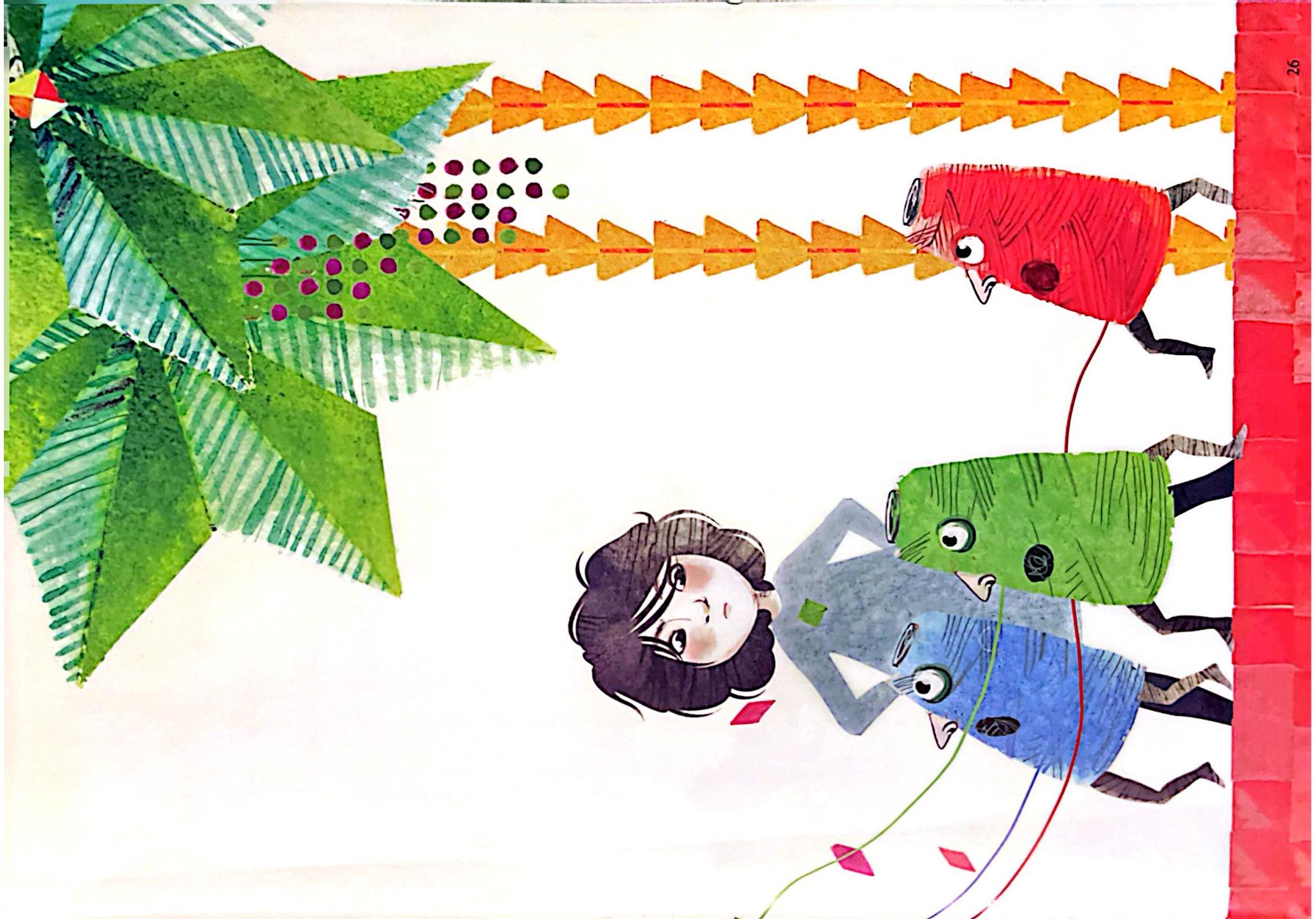
مَسْتَ هند وراء السُّلْطَعُونَ حَتَّىٰ وَضَلَّ إِلَى بُخَيْرَةِ رَائِغَةِ
الْجَمَلِ تُحِيطُ بِهَا الْأَشْجَارُ وَالْأَزْهَارُ. عَزَفَ السُّلْطَعُونَ
أَخْلَى الْأَلْحَانِ. صَارَتِ الْأَزْهَارُ شَمَائِلُ بِفَرَّجٍ عَلَى أَنْفَامِ
الْمُوسِيقِيِّ.





افتربت بِجُعْدَةٍ حَمِيلَةً كَانَتْ تَسْبِحُ فِي وَسْطِ الْبَخِيرَةِ مِنْ هَنْدٍ، وَأَوْمَاتٍ بِرَأْسِهَا
تَنْعُوهَا لِلرُّكُوبِ عَلَى ظَهَرِهَا.
زَكَبَتْ هَنْدٌ عَلَى ظَهَرِ الْبَجْعَةِ وَأَنْجَرَتْ فِي الْبَخِيرَةِ عَلَى أَنْفَامِ الْمُوسِيقِيِّ.
تَمَثَّلَتْ هَنْدٌ لِأَنَّهَا تَبْقِي عَلَى ظَهَرِ الْبَجْعَةِ، وَأَنْ تَبْحَرَ بِعِدَاءً بَعِيدًا.





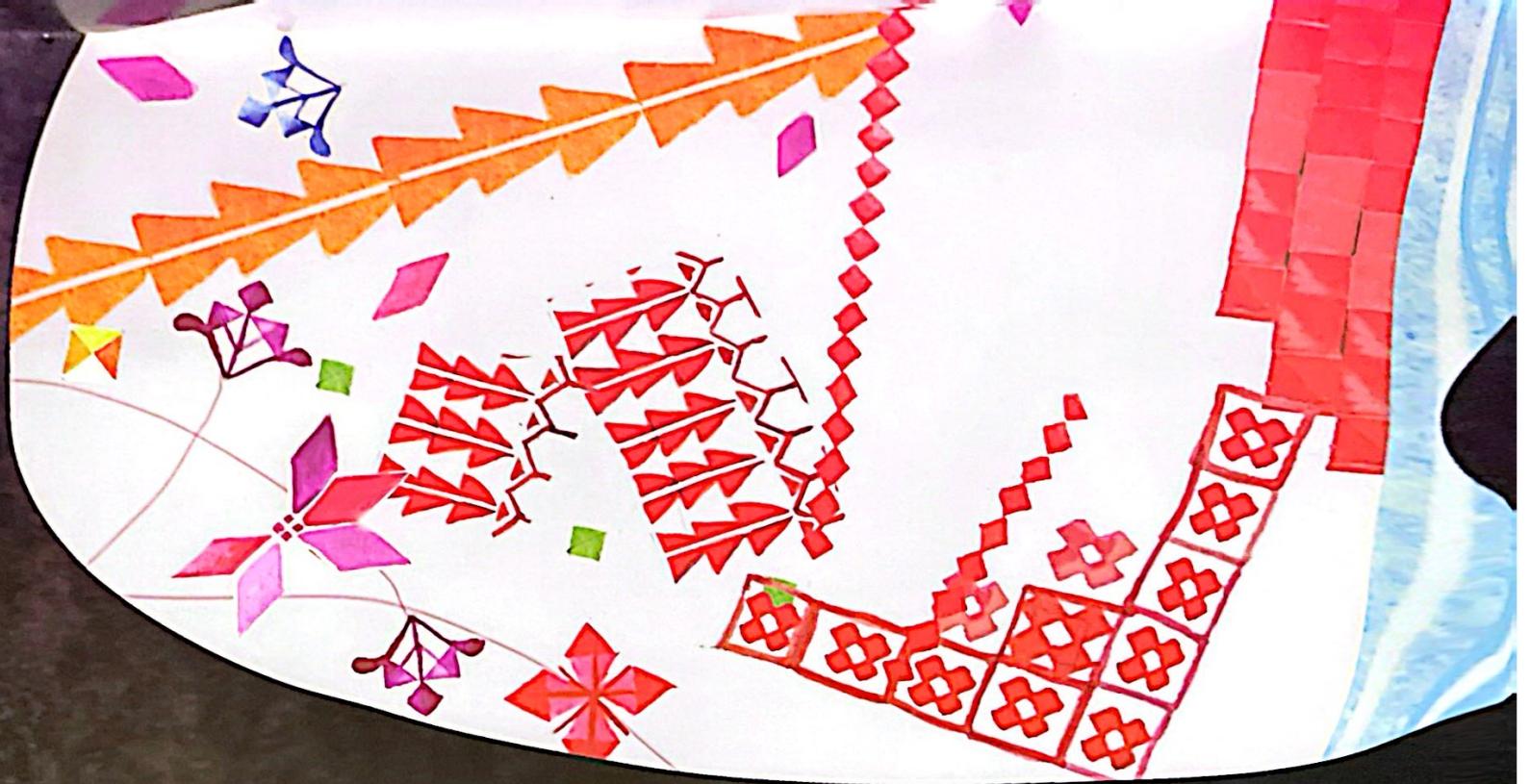
فَجَاءَهُ تُوقْتِ الْمُوسِيقِيِّ وَسَرَعَتْ
النَّسْعَةُ نَعْدِدُ هَنْدَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ.
صَاحَبَتِ الْبَكَرَةَ الْخَمْرَاءُ إِنَّهُ أَبٌ إِنَّهُ أَبٌ
نَظَرَتْ هَنْدٌ حَوْلَهَا بِاسْتِغْرَابٍ وَهِيَ
تَقُولُ: مَا الْأَمْرُ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي سَيَأْتِي؟!
فَأَلَّا يَكْرَاثُ الْخُيُوطُ الْمُلُؤْنَةُ بِضَحْوَتِ وَاجِدٍ
أَلَا تَعْرِفِينَ؟ إِنَّهُ الظَّلُّ الْلَّعِينُ!



وَمِنْ بَعْدِهِ ظَهَرَ ظَلٌّ أَسْوَدُ مِثْلُ
النَّيلِ، بَدَا يَخْطِفُ الْأَلْوَانَ وَيَخْتَلُ
الْمَكَانَ. صَاحَتْ هَنْدَ: أَيْنَ ذَهَبَتِ
الْأَشْكَالُ وَالْأَلْوَانُ؟!

ضَحِكَ الظُّلُّ الْأَسْوَدُ وَقَالَ
بِصَوْتٍ كَالرَّعدِ:





أَلْوَنُ الظَّلَّ هُوَ الأَفْضَلُ، فَلَذَّهُب
الْأَلوَانُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ...
هاهاها!!

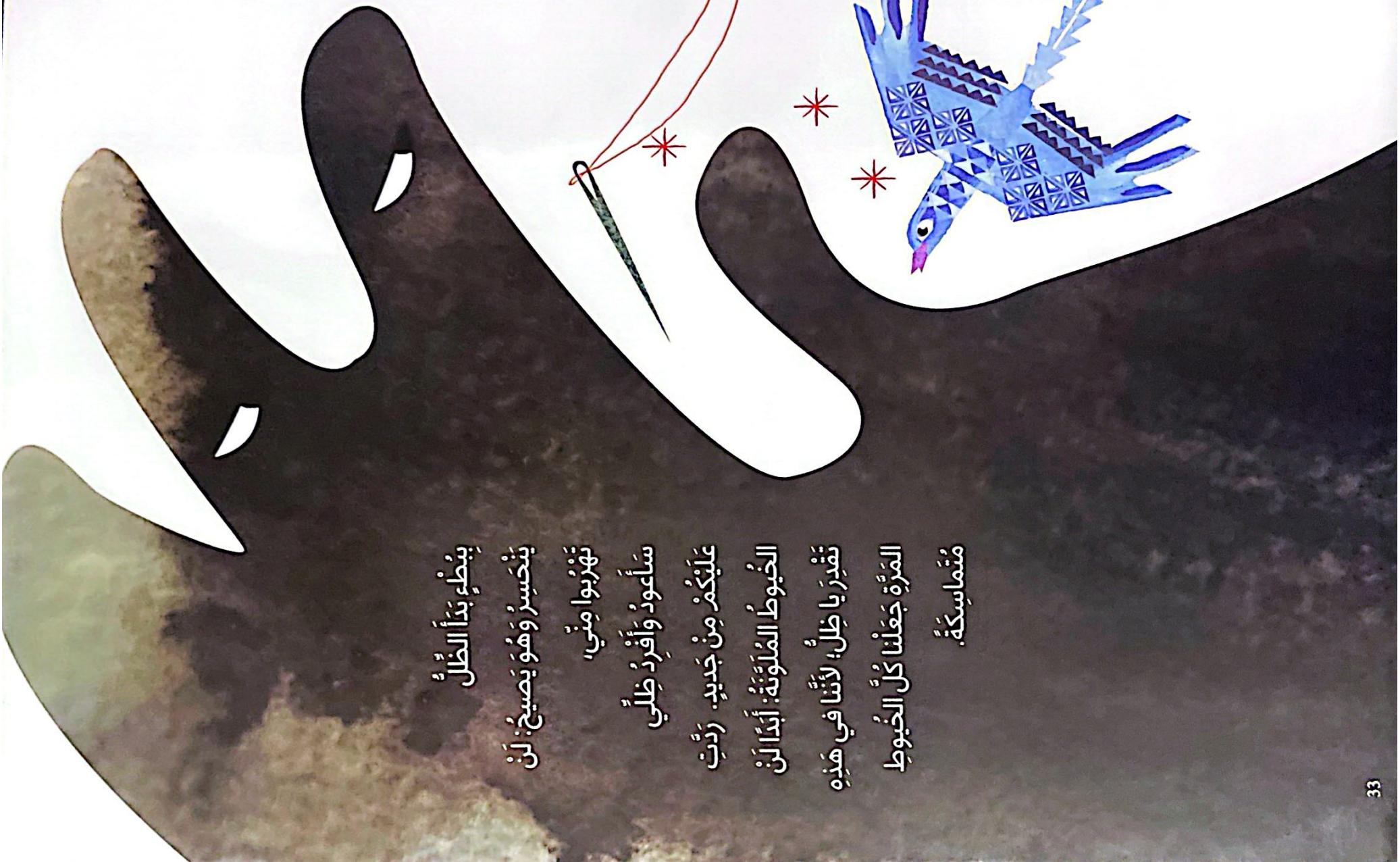
تَحْسَسَتِ الْحَيُوتُ الْمُلْوَثَةُ
وَالْأَزْهَارُ وَالْأَشْكَالُ تَهْسَسُهَا وَهِيَ
تَضْرُبُ وَتَقُولُ:
سَنَخْتَفِي فَرِيًّا! سَاعِدِينَا يَا هَنَدًا
أَرْجُوكِ سَاعِدِينَا لِتَخْلُصَ مِنْ هَذَا
الظَّلُّ الْعَيْنِ!

ذَكَرْتْ هَنْدَ إِبْرَهَا السُّخْرِيَّةَ الَّتِي نَقَلَهَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الغَرْبِ فَنَادَهَا قَيْلَهُ:
يَا إِبْرِي السُّخْرِيَّة، سَاعِدِنَا
وَفِي لَنْجِ الْبَصَرِ، ظَهَرَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ إِبْرِيَّةِ الْفَحْشَيَّةِ الْأَدْمَعَةِ.
قَالَتْ هَنْدَ لِيَكْرَابُ الْحُيُوطِ الْمَلَوَّنَةِ: هَيَا... هَيَا، مَذَا يُحِبُّكُنِي! مَعًا سَنَطِرُّهُ هَذَا
الظَّلَّ الْتَّفِيلِ الدَّمِ. وَسُسْرَعَةً أَذْخَلَتْ هَنْدَ الْحُيُوطَ فِي ثُقُوبِ الإِبْرِ، وَبِحَرَكَةٍ مُنْتَسِبَةٍ
عَمِلَتْ إِبْرِيَّتِي تَحْمِلُ الْحُيُوطِ الْمَلَوَّنَةَ بِجَدٍ وَسَاطِلَ لِيُبَعِّدَ الْأَشْكَالَ وَالْأَلوَانَ
الْأَزْاهِيَّةَ إِلَى مَكَانِهَا الْأَضْلَيِّ.





يُنْظِرُ بَدَأَ الظَّلُّ
يُخْسِرُ وَهُوَ يُصْبِحُ لَنْ
تُهْزِيَا مِنْيِ،
شَاعُودُ وَأَفْرُدُ ظَلُّ
عَلَيْكُمْ مِنْ جَدِيدٍ. رَذْبٌ
الْحَبُوطُ الْمُلَوَّنَةُ: أَبَدَانَ
قَدِيرٌ يَا ظَلٌّ؛ لَذَنَا فِي هَذِهِ
الْمَرَّةِ جَعَلْنَا كُلَّ الْحَبُوطِ
مُنْمَاسِكَةً.





صَفَقَتْ هَنْدٌ فَرِحاً بِعُودَةِ الْأَلْوَانِ وَالأشْكَالِ وَاتِّفَاءِ الظَّلَّ. أَعْمَضَتْ عَيْنَيْهَا لِلْمُدْرَجَةِ
وَإِذْ بِدَوَامَةٍ مِنَ الْخُيوطِ الْمُلْوَنَةِ تُلْفُ وَتَدُورُ بِهَا. فَجَأَهُ سَمِعَتْ هَنْدٌ صَوْتَ شَيْءٍ
يَقْعُدُ عَلَى الْأَرْضِ.

فتحت يديها بدهشة... وإنما تجد نفسها في غرفةها وقد وقعت من يدها سلة الخيوط التي أخذتها إليها عمّتها سعيدة، ودخلت بكرات الخيوط في أنوار الغرفة. أسرعـت هند تلقطها وتعيـدـها إلى سلة التـنظـيرـ.

لم تتأبهـتـ وقالـتـ فيـ نفسهاـ:

أـيـ شـكـلـ سـالـطـرـزـ يـارـىـ؟ـ سـنـبـلـةـ قـمـحـ؟ـ
زـفـرـةـ أـفـرـ شـجـرـةـ؟ـ أـفـعـيـ أـفـأسـدـ أـفـ طـيـرـ؟ـ

لمـ بدـأـتـ يـغـيـ وـتـغـولـ:
علـ دـلـعـونـاـ...ـ عـلـ دـلـعـونـاـ...ـ

